﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١﴾ [الجن: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد ذكرِ إعراضِ الكفّار أعقبَ بذكرِ تكريمِ الجنّ بالإيمان

قال ابن الزبير: "لمّا تقدّم ذكرُ حال كفار قريش في تعاميهم عن النظر وجريهم في اللدد والعناد، حسبما انطوتْ عليه سورة القلم، ثم أتبعتْ بوعيدهم في الحاقة، ثم بتحقيقه وقرب وقوعه في المعارج، ثم بتسليته ﷺ وتأنيسه بقصّة نوح ﷺ مع قومه؛ أعقبَ ذلك بما يتّعظ به الموفقُ، ويعلم أنّ القلوبَ بيد الله، فقد كانت استجابة معاندي قريش والعرب أقربَ في ظاهر الأمر لنبيٍّ من جنسهم ومن أنفسهم، فقد تقدّمت لهم معرفةُ صدقهِ وأمانته، ثم جاءهم بكتابٍ بلسانهم الذي به يتحاورون، ولغتهم التي بها يتكلّمون، ومع ذلك عموا، وصمّوا - غضبَ الله عليهم ولعنهم - وسبقَ إلى الإيمان من ليس من جنسهم، ولا سبقتْ له مزية تكريمهم، وهم الجنّ، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَفَرٞ﴾: أصلُ (نفر) يَدُلُّ عَلَى تَجافٍ وتَباعُدٍ، ومِنْهُ نَفَر الدّابَّةُ وغَيْرُهُ نِفارًا، وذَلِكَ تَجافيه وتَباعُدُهُ عَنْ مَكانِهِ ومَقَرِّهِ، ونفَرَ الشَّخصُ: هجَرَ وطنه، وضَربَ في الأرضِ، والنَّفَرُ: رهطُ الرَّجل وعشيرته الأدنون؛ لأنَّهُمْ يَنْفِرونَ لِلنُّصْرَةِ، ويَوْمُ النَّفْرِ: يَوْمَ يَنْفِرُ النّاسُ عَنْ مِنى، والنَّفَر: من الثّلاثة إلى العشرة[2]، والـ ﴿نَفَرٞ﴾ في الآية: جماعةٌ من الجنّ[3].

(1) ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 349، والبقاعي، نظم الدرر: 20/ 465.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وأحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (نفر).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 220.

2) ﴿عَجَبًا﴾: أصلُ (عجب) يدلُّ على كِبْرٍ واستِكبارٍ لِلشَّيْءِ، وأمْرٌ عَجيبٌ؛ إذا اسْتُكْبِرَ، واسْتُعْظِمَ، وشيء مُعْجِبٌ، أي: حَسَنٌ[1]، والعَجَبُ: إنكارُ ما يَرِدُ عَلَيْكَ لقِلَّةِ اعتيادِه[2]، والعجبُ والتَّعجُّبُ: حالةٌ تعرضُ للإنسان عند الجهلِ؛ بسببِ الشيء، أو إذا خرجَ بها المتعجَّبُ منه عن نظائره، فالعَجبُ هو الشيءُ الذي لم يُعرفْ سببه، ولم يُعهدْ مثله، ومنه قوله تعالى هنا: ﴿عَجَبًا﴾[3]، والمراد: كتابًا بديعًا مباينًا لكلامِ الناس في حسنِ النظم ودقَّة المعنى[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أمرَ اللّهُ رسولَه ﷺ بأنْ يُعْلِمَ المسلمين وغيرهم بأنَّ اللّهَ أوحى إليه وقوعَ حدثٍ عظيم في دعوته، أقامه اللّهُ تكريمًا لنبيّه وتنويهًا بالقرآن، وهو أنْ سخَّر بعضًا من النّوعِ المسمّى بالجنِّ لاستماعِ القرآن، وألهمهم، أو علّمهم فهمَ ما سمعوه[5].

أمرٌ للنبي بالإبلاغِ عن قصّة إيمان الجنّ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

براعة الاستهلال لهذه السورة بقوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾:

افتتحَ البيانُ الإلهيُّ السّورةَ بالأمرِ بالقولِ، ولم يقلْ مثلًا: قد أوحي إليّ؛ ليُشيرَ إلى أنَّ ما سيُذكَرُ بعْدَه حدَثٌ غَريبٌ، وخاصَّةً بالنِّسبةِ للمشركينَ الَّذين همْ مَظِنَّةُ التَّكذيبِ به، كما يَقتضيهِ قولُه: ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾[6]، ففي الأمر بقوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ دلالةٌ على أنّ رسولَ اللّه هو المبلّغ عن اللّه، وأنّه بُعِثَ إلى الجنّ، كما بُعِثَ إلى الإنس، ودلالةٌ على أنَّ المأمورَ به شيءٌ مهمٌّ، يستدعي

المشركون من وكْدِهم التكذيب

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عجب).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (عجب).
(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عجب).
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 291.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 218.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 218.

من السامعين التيقّظَ والانتباه، والامتثالَ للمأمور به، وتصديقه ﷺ فيما أخبرَ به، وأيضًا فإنَّ فيه أمرًا بإذاعة هذا الخبر، ودعوةَ مشركي قريش إلى الإيمان بالحقِّ الذي جاء به ﷺ، كما آمن جماعةٌ من الجنّ به، وإعلامهم بأنّ رسالته ﷺ تشملُ الجنّ والإنس[1].

دلالة حذف المقول في الآية:

لم يذكرِ البيانُ الإلهيّ المقولَ لهم بخبرِ الجنّ، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾؛ لإفادة العموم، فهُم جميعُ النّاسِ الَّذين كان النَّبيُّ ﷺ يُبلِّغُهم القُرآنَ مِن المسلمينَ والمشركين، أرادَ اللّهُ إبلاغَهَم هذا الخبَرَ؛ لِما له مِن دَلالةٍ على شرَفِ هذا الدّينِ، وشرَفِ كِتابِه، وشرَفِ مَن جاء به، وفيه إدخالُ مَسرَّةٍ على المسلِمينَ، وتَعريضٌ بالمُشرِكين، وتوبيخٌ وتقريع لهم؛ لكونهم تباطؤوا عن الإيمان؛ إذ كان الجنُّ خيرًا منهم، وأسرعَ إلى الإيمان، وإلى تبليغه، فقدْ أدْرَكوا شرَفَ القُرآنِ، وفَهِموا مَقاصِدَه وهمْ لا يَعرِفون لُغتَه، ولا يُدرِكون بَلاغتَه، فأقْبَلوا عليه، والَّذين جاءهُم بلِسانِهم، وأدْرَكوا خَصائصَ بَلاغتِه؛ أنْكَروه، وأعْرَضوا عنه[2].

فـي عمـوم المبلَّغين بخبرِ الجنّ تعريضٌ بالمشركين وسرورٌ للمسلمين

دلالة التعبير بالفعل: ﴿أُوحِيَ﴾ مادة وصيغة:

التَّعبيرُ بالوحي عن استِماعِ الجنِّ للقُرآنِ في قوله تعالى: ﴿أُوحِيَ﴾ إيماءٌ إلى أنَّه ما عَلِمَ النبيُّ ﷺ، بذلك إلّا بإخبارِ اللّهِ إيّاهُ بوُقوعِ هذا الاستماعِ، فالآيةُ تَقْتضي أنَّه لم يَعلَمْ بحُضورِ الجنِّ لاستماعِ القُرآنِ، قبْلَ نُزولِ هذه الآيةِ، وأمّا قولُه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: 29]؛ فتَذكيرٌ بما في هذه الآيةِ، أو هي إشارةٌ إلى قصَّةٍ أُخرى[3]، واختيارُ مادّة الوحي دون غيرها؛ للإشارة إلى

قـصّـةُ استماعِ الجنّ وإيمانهم كانتْ بإخبار اللهِ تعالى عن طريق جبريل

(1) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 131.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 219، والصابوني، صفوة التفاسير: 3/ 434.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 219.

أنّ ما أُخبر به ﷺ كان على وجهِ الخفاء ممَّن لا يعلم الغيب غيره في هذا القرآن على لسان جبريل عليه السلام بما يشير إلى إعجازِ القرآن، وأنّه من عند الله تعالى لفظًا ومعنى.

وجاء التعبير بفعل الوحي مبنيًّا للمفعول؛ لأنّ الفاعلَ - وهو الله ﷻ، الموحي إلى النبي ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام - معلومٌ فضلًا عن أنَّ في التعبير بالمفعول تركيزًا على فعل الوحي، وتعظيمًا للموحى به[1].

دلالة تعدية ﴿أُوحِيَ﴾ بـ(إلى) دون اللام:

الوحيُ من الله تعالى بلَغَ غايته، ووصلَ كاملًا إلى النبي ﷺ

عُدي الفعل ﴿أُوحِيَ﴾ بحرف الجرّ (إلى)، ومعناه: انتهاءُ الغاية الزمانية والمكانية، ولم يتعدَّ باللام، فلم يقل: (أوحي له)؛ للدَّلالة على معنى الانتهاء في الوحي، والإشارة إلى مصدره ومتلقّيه، أي: إنَّ الوحي تحرَّك من مصدره (وهو الله تعالى)، وبلغَ غايته ونهايته فوصل وصولًا كاملًا إلى النبي ﷺ المبلِّغ عن ربّه، وفي هذا إثباتٌ لمصدر الوحي الإلهي، ولتلقّيه كاملًا من النبي ﷺ.

دلالة ياء المتكلم في قوله: ﴿إِلَيَّ﴾:

الوحيُ مختصٌّ بوصوله إليه ﷺ وواجبٌ عليه تبليغه

في إضافة ياء المتكلّم إلى حرف الجر (إلى)، في قوله تعالى: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، تقييدٌ لفعل الوحي، ووصوله إلى النبي ﷺ خاصّة، أي: هذا الوحي مختصٌّ بالنبي ﷺ دون غيره، ومن ثم واجبٌ على النبي ﷺ تبليغ ما أوحي إليه.

دلالة التعبير بـ(أنّ) في قوله: ﴿أَنَّهُ﴾:

في توكيد خبر استماعِ الجنِّ لقراءة النبيّ ﷺ اهتمامٌ به

عبَّر البيانُ الحكيمُ بحرْفِ (أنَّ) في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾؛ لإفادة تأكيدِ الخبَرِ الموحَى، وهو خبرُ استماع الجنِّ لقراءته، وأمره بإبلاغ قومه بهذا الخبر؛ اهتمامًا به لغَرابته[2]، والتوكيد في السورة ظاهرة بارزةٌ فيها.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 462.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 218.

دلالة التعبير بضمير الشأن في ﴿أَنَّهُ﴾:

خـبر اسـتـمـاع الـجـنّ لـقـراءة النبي ﷺ محلّ تعظيمٍ وتفخيمٍ

الضَّميرُ في قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ ضميرُ الشَّأنِ، وخبَرُه جُملةُ: ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، وقد عبّر به البيانُ القرآني؛ زيادةَ اهتمامٍ بالخبَرِ الموحَى به؛ إذ يُعطيه التعظيم والتفخيم[1]، "أي: الشأن العظيم"[2].

سرّ التعبير بالاستماع:

استـمـاعُ الجـنّ لـلـقـرآن نـتـجَ عنه فهمهم له واسـتـفـادتـهـم منه

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ عبّر البيانُ القرآني بالاستماع دون الإنصات؛ للدلالة على أنّ استماعَ الجنِّ نتجَ عنه فهمهم للمسموع - وهو القرآن - واستفادتهم منه، وهو إيمانهم به، ولو عبَّر بالإنصات؛ لَما دلّ على هذه المعاني، ولدلّ على مجرّد السكوت للاستماع؛ لأنّ الإنصاتَ في اللغة هو السكوت للاستماع، في حين أنّ الاستماعَ هو قصدُ السماع وإدراكُ المسموع بغيةَ فهمه، والاستفادة منه[3].

دلالة التعبير بـ﴿ٱسْتَمَعَ﴾:

استـمـاعُ الجـنّ لـلـقـرآن غـايـةُ إصـغـائـهـم له وإقبالهم عليه

عبَّر البيانُ الحكيم بالفعل ﴿ٱسْتَمَعَ﴾ على صيغة الافتعال التي تدلُّ على شدّةِ الطلب والتكلّف والمحاولة والتحرّي، والاجتهاد في الطلب؛ للدلالة على المبالغة في الاستماع والإنصات الشديد، وإقبالهم وتقبُّلهم لهذا الكلام العجيب وإلْفهم به[4]، فالاستِماعُ هوَ استفادةُ المسموع بالإصغاء إلَيهِ لفهم، في حين أنّ السماع هو اسمٌ للمسموع[5]، وهذا يعني أنَّ جماعةَ الجنّ قد أعطتْ سمعها للقرآن، وأقبلتْ عليه، والتفتتْ بمشاعرها كلّها إليه[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 220.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 462.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 89.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 462.
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 89.
(6) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1219.

دلالة التعبير بالماضي ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾ دون المضارع:

استماعُ نفرٍ من الجنّ للقرآن وإيمانهم به حقيقةٌ ثابتةٌ لا مراءَ فيها

جاءَ التعبيرُ عن فعل الاستماع بصيغة الماضي؛ لأنّه وقعَ في زمنٍ سبقَ إخبار النبي ﷺ به، وهو إخبارٌ عن معجزة حسّيَّة وقعتْ للنبي ﷺ، وهي استماعُ نفر من الجنّ للقرآن وإيمانهم به، والتعبير بصيغة الماضي يؤكّد تحقُّق الخبر، وأنّه حقيقةٌ ثابتة لا مراءَ فيها، ممّا يزيد اليقين في قلب المؤمن.

فائدة حذف مفعول ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾:

في الاختصار تركيزٌ على فعلِ الاستماع

حُذِفَ مفعول ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾، وهو القرآن الكريم، كما ذكر في قوله: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الأحقاف: 29]؛ اختصارًا لدلالةِ ما بعدَهُ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾[1]، ويمكن أنْ يكون تقدير المحذوف هو (إليك)، والتقدير: أنّه استمع إليك نفرٌ من الجنّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ [الأنعام: 25]، ويكون الحذف؛ لإفادة التركيز على القول المسموع، والدلالة على شرفه، وهو القرآن الكريم، لا التركيزَ على شخصِ النبي ﷺ، كما في الآية الأخرى.

دلالة التعبير بـ﴿نَفَرٞ﴾ دون رهط أو طائفة:

جماعة قليلةٌ من الجنّ من طبعها النفرة تستمع إلى القرآن

عبّر البيانُ القرآني بالنفر في قوله تعالى: ﴿نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾؛ لبيان أنّ عددهم كان قليلًا مادون العشرة، فالنَّفرُ: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة، وأصلُه في اللغة لجماعةٍ من البشر، فقد أطلقه على جماعة من الجنِّ على وجهِ التشبيه؛ إذ ليس في اللغة لفظ آخر[2]، وأيضًا فإنَّ هذا اللفظ أكثرُ مناسبةً لحال المستمعين، وهم الجنّ الذين هم أجسامٌ حيّة عاقلةٌ خفيفة تغلبُ عليها النارية أو الهوائية، كما تغلب على أجسام الإنس الترابية؛ إذ فيه إشارةٌ إلى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 42.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 220.

أنَّهم في غايةِ النفرة جبلَّة وطبعًا[1]، ومع هذه النفرة استمعوا إلى القرآن، وأثَّر فيهم.

نكتة تنكير ﴿نَفَرٌ﴾:

نـفـرٌ قـلـيـلٌ مـجـهـولٌ كـانـوا سببًا في إيمان طائفةٍ كبيرة

أتى التعبير بلفظ ﴿نَفَرٌ﴾ منكرًا؛ للدَّلالة على التقليل، وهذا يتناسبُ مع معنى النفر؛ إذ هو الجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة، وأيضًا للدلالة على الإبهام وعدم التعيين، فالنفرُ من الجنّ الذين استمعوا للقرآن غير معروفين بالذات أو بالصفة، وفي الإشارة إلى قلّتهم وعدم تعيينهم إظهارٌ لأثر القرآن العجيب في النفوس، حتى أنّ نفرًا قليلًا مجهولًا كانوا سببًا في إيمانِ طائفة كبيرة.

معنى ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾:

الـنـفـر الـذيـن استمعوا للقرآن من بعض جنس الجنّ

﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ تبعيضية، فقد سخّرَ اللّهُ تعالى بعضًا من النوعِ المسمّى جِنًّا لاستِماعِ القُرْآنِ[2]، ويمكن أن تكون ﴿مِّنَ﴾ بيانية أيضًا؛ إذ بيَّنت نوع النفر الذين استمعوا إلى القرآن بأنَّهم من جنس الجنّ.

سر التعبير بالجن دون الجان:

الذين استمعوا للقرآن نفرٌ من جنسِ الجنّ

التعبيرُ بالجنّ هنا أنسبُ من الجانّ؛ لأنّ المقصودَ جنسُ الجنِّ الذين هم خلافُ الإنس، والواحد جنّي، أي: استمعَ نفرٌ من جنسِ الجنّ إلى القرآن، ولا يتناسبُ لفظ الجانّ مع المعنى هنا، فالجانّ هو أبو الجنّ، كآدم أبو البشر[3].

معنى الفاء في الفعل: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾:

تـسـبّـب عـن استماع الجنّ للقرآن إبلاغ قومهم بذلك

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ تفيدُ السببية، أي: فتسبّب عن استماعهم للقرآن أنْ قال من سمع منهم لمن لم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 462.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 218.
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (جنن).

يسمع، أي: إبلاغ قومهم بما سمعوه[1]، وفي الفاء أيضًا إشارة إلى سرعة إبلاغهم قومهم ودعوتهم إياهم إلى الحقّ والهدى، وفي هذا تعريضٌ بالمشركين الذين لم يؤمنوا، بل وصدّوا الناس عن الإسلام.

دلالة التعبير بالماضي: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾:

قصة استماع الجنّ للقرآن وتبليغهم له حقيقة ثابتة

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالقول في قوله: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾، بصيغة الماضي دلالةً على تحقُّقِ وقوعِ القول من النفر من الجنّ الذين استمعوا للقرآن وتبليغهم ذلك لقومهم حقيقة واقعة، وهذا يتناسبُ مع كون القصَّة حدثتْ، وانقضتْ، ومع ورود الأفعال في الآية بصيغة الماضي: ﴿أُوحِيَ﴾، ﴿ٱسۡتَمَعَ﴾، ﴿سَمِعۡنَا﴾.

بلاغة الاستعارة في الفعل: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾:

قولُ الجنّ هو إبلاغُ مرادهم إلى قومهم بالكيفية التي يتفاهمون بها

المرادُ بالقول في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾: إبلاغُ هؤلاء النفرِ من الجنّ ما يريدون أنْ يبلّغوه لقومهم بالطريقة التي يتفاهمون بها، وليس المراد كلامًا ككلام الإنس؛ إذ ليس للجنّ ألفاظٌ تجري على الألسن فيما يظهر، فالقولُ إذًا مستعارٌ للتعبير عمّا في نفوسه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: 18][2].

بلاغة التأكيد بـ﴿إِنَّا﴾:

تأكيدُ خبر سماع الجن للقرآن لغرابته ولزيادةِ الاهتمام به

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾ تأكيدُ الخبَرِ بـ(إنَّ)؛ لغرابة الخبر، وهو ما كان من استماعهم القرآن وإيمانهم به، ولزيادة الاهتمام به، ولأنَّهم أخْبَروا به فَريقًا منهم يَشُكّون في وُقوعِه، فأتَوا في كَلامِهم بما يُفيدُ تَحقيقَ ما قالوه[3]، ولأنّهم كانوا بعيدين عن سماعِ الوحي[4]، وجاءَ التوكيدُ في قوله: ﴿إِنَّا﴾ متصلًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 464.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 220.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 464.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 464.

بضمير الشأن؛ لتعظيمِ شأن المُخبَر به، وهو القرآن الكريم، وليتناسب مع سياق التعظيم بوصف القرآن بالمصدر ﴿عَجَبًا﴾.

سرُّ التعبير بقوله: ﴿سَمِعْنَا﴾:

التعبيرُ بالسماع لإفادة معنى تعمُّد الجنّ للإصغاء للقرآن، أي: أصغينا، وألقينا إليه أفهامنا[1]، فاستماعُ الجنّ للقرآن كان حقيقة، فهم سمعوا النبيَ يتلو القرآن، ومن ثمّ فهموا معانيه بإلهام من الله تعالى، وما حصلَ لهم من شرفِ المعرفة بصدق القرآن وما احتوى عليه من إعجاز كان بعد سماعهم القرآن، ففي التعبير بفعل السماع إشارةٌ إلى إعجازِ القرآن الصوتي وتأثيره في النفوس، فقد اعترفوا بغرابته وإعجازه على الفور، حتى قبل أنْ يتحوَّل هذا السماع إلى علمٍ وتدبُّر، ولو عبَّر بقوله: (علمنا)؛ لَما أفاد هذه المعاني.

سماعُ الجنّ للقرآن كان حقيقةً ومعرفتهم بصدقهِ ترتَّب على سماعهم له

بلاغة الجناس الاشتقاقي بين قوله: ﴿ٱسْتَمَعَ﴾ و﴿سَمِعْنَا﴾:

بين اللفظين ﴿ٱسْتَمَعَ﴾ و﴿سَمِعْنَا﴾، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: جناسُ اشتقاقٍ؛ إذ يرجعُ اللفظان إلى جذرٍ لغوي واحد هو (سمع)، إلا أنّ لفظ ﴿ٱسْتَمَعَ﴾ على وزن افتعل، ولفظ ﴿سَمِعْنَا﴾ على وزن (فعلنا)، وكلاهما جاء بصيغة الماضي، ممّا يعطي جماليةً في السمعِ، تحملُ السامعَ على الإصغاءِ، وتزيدُ المعنى وضوحًا، وتساعدُ على ترسُّخهِ في الذّهن.

جناسٌ يعطي جماليةً في السمع، ويؤكّدُ على استماع الجن

سرّ التعبير بقوله: ﴿قُرْءَانًا﴾:

آثرَ البيانُ الحكيم التعبيرَ بلفظ ﴿قُرْءَانًا﴾ دون (كتابًا)؛ للإشارة إلى أنّه كلامٌ هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما نحتاج إليه[2]؛ لأنّ من معاني قرأ الجمع، فضلًا عن أنّ لفظ ﴿قُرْءَانًا﴾ أكثرُ

الجنّ سمعوا القرآن من تلاوة النبي ﷺ، ولم يقرؤوه من كتاب

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 464.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 464.

مناسبة مع الاستماع، فالقرآنُ من القراءة والتلاوة، والجنّ سمعوا القرآن من تلاوة النبي ﷺ، ولم يقرؤوه من كتاب؛ إذ الكتابُ من الكتابة والجمع والحفظ.

نكتة تنكير ﴿قُرْءَانًا﴾:

قرآنٌ عظيم في غايةِ الانتظام لم يكنْ معروفًا عند الجنّ

التنكيرُ في قوله: ﴿قُرْءَانًا﴾ يفيدُ التفخيمَ والتّعظيم لهذا القرآن، فهو كلامٌ جليلُ القدر، عظيمُ الشأن، بديعُ الأسلوب في غايةِ الانتظام في نفسه وفي جمعه لجميع ما نحتاج إليه، وهذا يتناسبُ مع وصفه بـ﴿عَجَبًا﴾، فضلًا عن إفادةِ الإبهام، فالقرآنُ لم يكنْ معروفًا عند الجنّ، فهُم أوّل مرة يستمعون له.

سرّ وصف القرآن بالعجب:

سامعُ القرآن يتعجّب منه لبراعته وفصاحته وحسن مضامينه

وَصَفَ القُرآنُ ما سمعه الجنّ من القرآن الكريم، في قوله: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ بصيغة المصدر (العجَب) - وهو: ما خرجَ عن حدّ أشكاله ونظائره - دون (عجاب أو عجيب)؛ للمُبالغة في قوّة المعنى؛ لأنّ الوصف بالمصدر أقوى من الوصف بالصفة، أي: يعجب منه، ومعنى ذلك أنّه بديعٌ فائقٌ في مفاده[1]، وهو عزيزٌ لا يوجدُ مثله، عجبٌ في نفسه؛ لفَصاحةِ كَلامه، وحُسنِ مَبانيه، ودِقّةِ مَعانيه، وغَرابةِ أُسلوبه، وبَلاغةِ مَواعظه، وكَونه مُباينًا لسائرِ الكُتب[2]، وفي حسن نظمه وصحّة معانيه، فضلًا عن كلام الناس[3]، قائمة فيه دلائل الإعجاز[4]، والعجبُ مصدر يقع من سامع القرآن لبراعته وفصاحته ومضمّناته، وليس نفس القرآن هو العجب[5].

بلاغة التّعبير بجملة: ﴿سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾:

قولُ الجنّ لمّا سمعوا القرآن يدلّ على قوّتهم الإيمانية والعلمية

يدلّ ما أخبر الله به من قول الجنّ؛ لما سمعوا القرآن: ﴿سَمِعْنَا

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 623، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 221.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 293.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 464.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 623.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 379.

﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾، على قوّتهم العلمية في فصاحتهم، وكمالهم في علم الرسوم، وصوغ الكلام على أبلغ جهات النظوم[1]، أو حصل لهم العلم بمزايا القرآن بانكشاف، وهبهم الله إيّاه لأدلةٍ كانوا لا يشعرون بها؛ إذ لم يكونوا مطالبين بمعرفتها، أي: إنّ فهمهم للقرآن من قبيل الإلهام، خلقه الله فيهم على وجه خرق العادة؛ كرامة للرسول ﷺ وللقرآن، وكذلك يدلّ على قوتهم الإيمانية؛ لأنّ الإيمان بالقرآن يقتضي الإيمان بمن جاء به، وبمن أنزله، ولذلك قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، وبذلك يكون قد حصل لهم شرف المعرفة بالله وصفاته وصدق رسوله ﷺ، وصدق القرآن وما احتوى عليه ما سمعوه منه، فصاروا من خيرة المخلوقات[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّفَر والطائفة والجماعة:

النّفرُ أخصُّ هذه الألفاظ، فالنفرُ من الثّلاثة إلى العشرة، وهم رهطُ الرَّجل وعشيرته الأدنون؛ لأنَّهُم يَنفِرونَ لِلنُّصرَةِ، ويشيرُ معنى النفر إلى التَّجافي والتَّباعُد عَنِ المكانِ والمقَرِّ[3]، أمّا الطّائِفَة؛ فهي الجماعةُ التي من شأنها الطوف في البلاد للسفر، أو التي تطوفُ حولَ مذهبٍ عام، ولا تكادُ العربُ تحدّها بعددٍ معلوم[4]، وأمّا الجَماعَةُ؛ فهي أعمُّ هذه الألفاظ؛ إذ هي عَدَدُ كُلِّ شيءٍ وكثرتُه، وتدلّ في أصلها عَلَى تَضامٍّ الشَّيءِ، أي: ضمُّ الشيء بتقريبِ بعضه من بعض[5]، فهي الجماعةُ يجمعها غرضٌ واحد، وتُطلَق على القليل

عـددٌ قليلٌ من الجـنّ طبعهم النـفـرة تـأثّـروا بالقرآن، وآمنوا به، وبلّغوه إلى قومهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 464.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 221.
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وأحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (نفر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (طوف)، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 278.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (جمع).

والكثير[1]، وقد ناسب هنا استعمال لفظ النفر؛ للدلالة على أنّ عدد الجنّ أقل من عشرة، وأنّ من طبعهم النفرة، فقد نفروا، وابتعدوا عن أماكنهم ومقرّهم، وسمعوا القرآن من النبي ﷺ، وهذا أدعى للغرابة، فهُم مع قلّة عددهم ونفرة طباعهم؛ قد تأثّروا بالقرآن، وآمنوا به، وبلّغوه إلى قومهم.

(1) الفيومي، المصباح المنير، ومجمع اللغة العربية في القاهرة، والمعجم الوسيط: (جمع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"